

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ





شبكة المعلومات الجامعية التوثيق الالكتروني والميكروفيلم



جامعة عين شمس

التوثيق الإلكتروني والميكروفيلم

قسم

نقسم بالله العظيم أن المادة التي تم توثيقها وتسجيلها
علي هذه الأقراص المدمجة قد أعدت دون أية تغييرات



يجب أن

تحفظ هذه الأقراص المدمجة بعيدا عن الغبار





بالرسالة صفحات لم ترد بالأصل





بعض الوثائق الأصلية تالفة



الإستاذ المشرف
د. عادل العوا

٢٠٠٩/٦/١٠

د. البرهانوي مر
عائذ بخير إلى رح

جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم الفلسفة

B 11790

نيتشه والقيم الدينية

رسالة جامعية لنيل درجة الماجستير في الآداب / فلسفة

إشراف

الأستاذ الدكتور عادل العوا

إعداد

مرضية فاسم الحريري

١٤٢٢ - ١٤٢٣ هـ

٢٠٠١ - ٢٠٠٢ م



فردیریک نیتشه

۱۸۴۴ - ۱۹۰۰ م

الإهداء

عندما يسقطُ المثلُ الأعلى

تنهارُ القيمُ ويذوي الأملُ

وما أضيق العيشُ لو لا فسحة الأملِ

إلى الأملِ ملهم

على أملٍ أن يزهر فيه المثلُ الأعلى

وتسمو فيه القيمُ

بطاقة شكر

من عظيم فخري واعتزازي أنني تتلمذت على يد:

الأستاذ الدكتور
محمد عادل عارف العوا

مؤسس
قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية
في جامعة دمشق

ومن عظيم فخري واعتزازي أيضاً
أنني أنجزت بحثي هذا لنيل درجة الماجستير بإشرافه

فله وافر الشكر
وعظيم التقدير

هرضية

في ثوبِ المُقدِّمةِ

لم يكن نيتشه فيلسوفاً عادياً بكل المقاييس والمعايير، فإن كان من السهل البدء بخاتمته المساوية لتكون أبرز نقاط التباين بينه وبين غيره من الفلاسفة فإنه من غير السهل تجاوز نقاط كثيرة تؤكد هذا الاختلاف، ففلسفته وحدها تشكل نموذجاً فريداً بين الفلسفات، ولغته الفلسفية كذلك فيها ما يكفي لجعل منها مثاراً للحيرة والدهشة...

5

بالكاد نجد اختلافاً في بلاغة نيتشه المتألقة التي جعلت من نصوصه لوحات فنية مبدعة وآيات من الجمال الفلسفي الذي قلما نجد له نظيراً في تاريخ الفلسفة، وهذا ما حدا بكثير من دارسي الفلسفة إلى القول بأن نصوص نيتشه شعر أكثر منه فلسفة، ولكنهم عندما نظروا فيها وجدوها فلسفة بلغة الشعر، فقال بعضهم إن صاحب هذه النصوص شاعر ولكنه ليس شاعراً وفيلسوف ولكنه ليس فيلسوفاً!! واختلط الأمر عليهم فلم يعرفوا أهو شاعر أم فيلسوف، بل إن يوحنا قمير سماه «نبي المتفوق»^(١)، ووجدنا من يصفه بأنه «نبي الصحة والقوة»^(٢)، ولا غرابة في ذلك «فهو يؤكد المسائل ويطرحها وكأنه يمشي على الدرر، والفلسفة تتكون عنده من جملة من الرؤى والأحكام والأمثال، وطريقته في التعبير قائمة على المجاز والرمز والدهاء اللغوي»^(٣).

الحق أن هذا الاختلاف في فهم نيتشه إلى حد الحيرة يمكن أن يكون ظاهرة نادرة في تاريخ الفلسفة، لا تخلو أبداً من الفريدة والطرافة، ولذلك لم يكن كارل ياسبرز هو الوحيد الذي قال: «التناقض هو السمة الأساسية لفكر نيتشه»^(٤). ولا يمكن أن نلوم

(١) - نيتشه نبي المتفوق هو اسم كتاب وضعه يوحنا قمير، وهو دراسة موجزة عن فلسفة نيتشه، ومختارات من بعض كتبه، وهو من الكتب التي سترجع إليها في بحثنا.

(2) - حسن صقر: مقدمة ترجمة كتاب نيتشه مكافحاً ضد عصره - تأليف رودلف شتاينر - دار الحصاد - دمشق

- ١٩٩٨م - ص ٣١.

(3) - المرجع السابق - ص ٨.

(4) - نقلاً عن: جان ماري شيفر: الفن في العصر الحديث - ترجمة الدكتورة فاطمة الجيوشي - وزارة الثقافة - دمشق -

١٩٩٦م - ص ٢٩١.

أحداً على ذلك إلا نيتشه ذاته، فهو «متعدّد الوجوه، متناقض مع ذاته، يغري بإساءة الفهم إذ يبدو ظاهرياً سهلاً قريب المنال، بينما هو في الحقيقة شديد التعقيد، إذ إن اللغة الكثيفة التي يطرح فيها مقولاته تشكل ستاراً كثيفاً من الدخان يشوش الرؤية، ويمنع المتلقي من الوصول إلى أعماق الحقيقة»^(٥).

5 ولذلك لا غرابة في أن يقف الوجدان الغربي حائراً أمام هذا الفيلسوف لا يعرف كيف يتعامل معه، لقد هموا بصلب فكره مرّات كما صلب هو عقائدهم ومقدّساتهم، ولكنهم وجدوا أنفسهم مرّات يصفقون له معجبين به، ومرّات أخرى عاملوه معاملة الابن الفاسق الضال الذي لا يستحق إلا الطرد، ومرّات أخرى وقفوا في حضرة ذكراه وقوفهم أمام القديسين، ومع ذلك كله ما فتئوا يقرعون بابه مستجدين فكره كلما

10 عصفت بروح الأمة أزمة كبرى، «والآن مع هذا الرعب الذي أنتجته هذه الحضارة يولد نيتشه تقريباً كل يوم من رحم العواصف والكوارث... وما أكثرها»^(٦). وليغدو نيتشه بذلك متجدّد الولادة دائماً.

ولد فريدريك نيتشه عام ١٨٤٤م في ريكن، وهي مقاطعة بروسيا. وكان أبوه قساً بروتستانتيّاً وابسن قس بروتستاني. كما كانت أمه أيضاً ابنة قس بروتستاني.

15 ولذلك ليس ثمة ما يستغرب في أن ينشأ نيتشه نشأة دينية، بل لقد عُرف منذ صغره بتدينه وتقواه، ويروى عنه أنه كان قادراً، وهو في السادسة من عمره، على أن ينشد آيات من الإنجيل، وتراتيل دينية على نحو يكاد يثير البكاء، وهذا ما جعل أصحابه يلقبونه بالقسّ الصغير.

في عام ١٨٥٨ التحق نيتشه بمدرسة بفورتا، وعلى مدى ستة أعوام خضع لتقاليد هذه المدرسة، ونظامها الصّارم الذي خضع له من قبله نوفاليس، وفيشته، ورنكه، وشليجل.

(٥) — حسن صقر: مقدمة ترجمة كتاب نيتشه مكافحاً ضد عصره — ص ٨.

(٦) — المرجع السابق — ص ٣٤.

درس نيتشه الفلسفة وعلوم اللغات القديمة في كل من جامعتي بون لبيتسج، ونظراً لنسبوغه المبكر عُيِّنَ أستاذاً لعلوم اللغات القديمة في جامعة بازل قبل أن ينال شهادة الدكتوراه، ولم يكن حينها قد أتمَّ الخامسة والعشرين من عمره. والذي رشحه لهذا المنصب هو أستاذه ريتشل، بشهادة قال فيها: «إنَّ السَّيدَ نيتشه يستطيعُ أن يفعل ما يشاء»^(٧). وقال أيضاً: «من بين العقول الشابَّة الكثيرة التي نمت أمام عيني خلال تسعة وثلاثين عاماً لم أعرف قط شاباً مثل نيتشه يصل إلى مرحلة النضج بسرعة كبيرة وفي عمر مبكر. إنني أتنبأ له إذا عاش عمراً طويلاً أنه سيحتلُّ في النهاية المكانة الأولى بين علماء اللغة الألمان، إنَّه الآن في الرابعة والعشرين من عمره... وهو معبود اللغويين الشبان في لبيتسج. سوف تقولون إنك تصف معجزة من المعجزات، أجل إنَّه معجزة بالفعل»^(٨).

المؤثرات في فكر نيتشه

إنَّ بنية أيِّ فكرٍ مهما بلغت من سموِّ الشأن والسبق الفكري، ومهما احتلت من الريادة في أي عصر من العصور... لا بدَّ لها من أن تكون قد خضعت لجملة من المؤثرات الخارجية التي أثرت فيها على نحو أو آخر، وساهمت في تكوينها، ونيتشه لم يشذ عن هذه القاعدة.

بل ربَّما يكون نيتشه هو الأكثر خضوعاً لهذه القاعدة؛ قاعدة التأثير بما أحاط به من معطيات، وما سبقه من ثقافات، ذلك أنَّه أقام فلسفته على إصدار قراره ضدَّ كلِّ ما كان حَسَى أيامه موضع اعتقاد وضرورة وتقديس، ولم يكتفِ بأن وَضَعَ تاريخ الفكر الأوربي موضع التساؤل بل لَقَد وَجَّه أسلحته الهجومية لتحطيم جميع القيم السائدة، منطلقاً من إيمانه بأنَّه صاحب رسالة تجاه هذا الفكر وعليه تأديتها بكلِّ تحدٍّ وإخلاص. ولا عجب لذلك أن نجد من يقول: «إنَّ نيتشه لا يشبه شيئاً آخر أكثر مما يشبه مرآة تشوَّشت فيها

(٧) — المرجع السابق — ص ٣٠.

(٨) — الدكتور يسري إبراهيم: نيتشه عدو المسيح — دار سينا للنشر — القاهرة — ١٩٩٠م — ص ١٤.

الرؤية لكثرة ما انعكس عليها من صور الآخرين، وهذا يفضي إلى القول بوجود صور
لنيتشه بقدر ما يوجد له من دارسين»^(٩).

وحتى تتمكن من فهم تلك الرسالة، وفي أي منحى فلسفي تصب لا بد لنا من
التذكير ببعض التأثيرات التي أحدثتها الفلسفات، والعلوم، وثقافات الحضارات
5 الأوروبية، وغير الأوروبية... في فكره. والتي ساهمت من ثم في تكوين بنيتة الفكرية الناقدة
والهدامة.

لعلنا لا نعدو الصواب إذا قلنا إن ما أحدثته الفلسفات الشرقية، ولا سيما الهندية،
في فكر نيتشه هو الأثر الأكثر أهمية. وقد عرف الفلسفة الهندية أولاً من خلال صديقه
بول دويسن (١٨٤٥ — ١٩١٩) الذي كان واحداً من أشهر مترجمي الفلسفة الهندية
10 ومدرسيها، وثانياً من خلال إطلاعه على فلسفة شوبنهاور المطلع على الفلسفات الهندية
والتأثر بها.

لقد أفاد نيتشه كثيراً من فكرة بوذا التي رأى فيها أن الحكمة والمعرفة اللتين يبحث
عنهما الإنسان هما في روحه، في ذاته، وفيها يجب أن يبحث عنهما. فبالانطلاق من هذه
الفكرة اكتشف نيتشه أن الغوص في أعماق الذات الإنسانية وإثبات مقدرة تلك الذات
15 بوصفها القوة الأساسية هو القادر على اكتشاف الحقائق وتكوين الحكمة. وهذه هي
السمة الأبرز التي تميزت بها فلسفته... وانطلاقاً من هذه الحقائق التي اكتشفها بالغوص في
أعماق الذات سعى لبناء الإنسان الأعلى، الإنسان الخارق، يقول:

«لقد أودعتني الحياة سرها قائلة: لقد تحتم علي أن أتفوق أبداً على ذاتي، وإنكم
لتحسبون هذا الاندفاع إرادة إبداع أو غريزة تحفز بي إلى الهدف الأسمى والأبعد منالاً
20 بعيد جهاته، في حين أنه ليس هنالك إلا جهة واحدة وسر واحد... وإني لأفضل العدم
على التحول عن هذه الوحدة»^(١٠).

(٩) — حسن صقر: مقدمة ترجمة كتاب نيتشه مكافحاً ضد عصره — ص ٨.

(١٠) — نيتشه: هكذا تكلم زرادشت — ترجمة فليكس فارس — دار أسامة — دمشق / بيروت — د.ت — ص ١٤٣.

ولم ينظر إلى الإنسان الأعلى على أنه نموذج سكوني، ثابت يكتفى به عند الوصول إليه، وإنما هو سيرورة متجددة الحيوية والارتقاء دائماً على أشلاء جثة الحاضر الذي سيصبح ماضياً، ولذلك نراه يقول: «مهما كان الشيء الذي أبدعه، ومهما بلغ حبي له فإن عليّ أن أنقلب له خصماً، أن أتحوّل عن حيي وحناني... ذلك ما قضته إرادتي 5 عليّ»^(١١).

وفيما بين نقطة الانطلاق والغاية كانت إرادة الانتصار على الذات هي الفكرة التي سعى نيتشه من خلالها إلى تمجيد الإنسان على الأرض، نابذاً طريق الميتافيزيقا، ورافضاً فكرة الهروب خارج الذات الإنسانية. ومن ثمّ فإن حبه الحكمة إنّما كان نابعاً من كونها تذكّره بالحياة التي دافع عنها بشراسة مستميتة أمام هجمات الميتافيزيقا من جهة، 10 والفلاسفة الذين ناصبوا الحياة العدا من جهة ثانية، وقد أكد هذا المعنى قائلاً:

«وناجيت يوماً حكمتي التّفورة قالت لي غاضبة:

إنّك تطلب الحياة وتشتاقها وتحبّها، وذلك ما يحفز بك إلى بذل الشّاء عليها»^(١٢).

وكرّر الفكرة ذاتها غير مرّة، في أكثر من موضع فقال مثلاً أيضاً:

«أتوسل إليكم أيّها الأخوة أن تحتفظوا للأرض بإخلاصكم»^(١٣).

15 ولكن هذا لا يعني أنّ فلسفة نيتشه هي صياغة جديدة للفلسفة الهندية، ولا أنّها كلّها مستنبطة منها، فقد ساهمت فلسفات أخرى في خدمة بعض الأفكار التي سعى إلى ترسيخها في فلسفته، ولهذا نجده هو ذاته يقول:

«من السّهّل واليسير جدّاً تفسير القرابة العائلية المملّقة بين كلّ ما جاءت به الفلسفة

الهندية واليونانية والألمانية. وحيث توجد قرابة لغويّة، لا مناص البتّة من أن يكون كلّ

20 شيءٍ مهياً سلفاً، لكي تتطور المنظّمات الفلسفية وترتّب على نحوٍ مماثل، وهذا بفضل

(١١) — المصدر السابق — ذاته.

(١٢) — المصدر السابق — ص ١٣٦.

(١٣) — المصدر السابق — ص ٣٣.